

المشين والصعب، أن تسهم كثيراً في إيجاد الرغبة في التنمية والتطور والتغير نحو غد أفضل.

ولعل السؤال المهم، هو هل نعتقد بأن الأوضاع الراهنة للمرأة الجزائرية تتفق مع التطور المرغوب فيه؟ وأن هذا لا يؤدي إلى أية مشكلة من أي نوع؟ خاصة إذا نظرنا إلى الموضوع من خلال ثنائية (التقاليد، المعاصرة). فالمرأة تقدم على أنها الحامية للقيم الأساسية للمجتمع، ويصبح أمر تجاوز هذا الدور أمراً غير مرغوب فيه سواء بالنسبة إلى المرأة أم إلى الرجل. وإذا كان الوضع كذلك، فكيف تسهم المرأة في البناء مستفيدة من الحياة العصرية؟ والتي قد تتعارض مع تلك القيم التي نحافظ عليها، فالتطور في حقيقته هو صراع بين قيم قديمة وقيم جديدة يُنتج قيماً أخرى أكثر جدة من الجديدة، فالقديم يؤدي إلى الجديد الذي يصبح قديماً ليصارع جديداً آخر، قد تصل إلى حد المواجهة العنيفة. (هيجل)

وقد يولد هذا الصراع رغبة وتوقاً إلى الحرية، يعبر عنها بالسفر أو الهروب، وتأتي الأعمال الإبداعية لترصد هذه الرغبة في التحرر والانعقاد. ولعل السؤال المهم ههنا، هل استطاعت هذه الأعمال الإبداعية أن تؤثر على القارئ وتثير مشاعره، أو أنها اكتفت بحد الاستنكار العنيف للأوضاع غير المحتملة؟

ولعل أحلام مستغانمي قد وفقت في مناقشة هذه التساؤلات في رسالتها للدكتوراه، والموسومة "المرأة في الأدب الجزائري المعاصر" بإشراف جاك بيرك. ثم إن هذه التساؤلات تحيل على أسئلة أخرى هامة في هذا المجال، فهل أن الاضطهاد هو سبب معاناة المرأة الجزائرية؟ أو أن الظروف الاجتماعية والحضارية التي وضعت فيها المرأة هي سبب الوضع القاسي الذي تعيش فيه ضمن إطار من الصعوبة تجاوزه؛ لأنّ الجزائر المعاصرة تهدف إلى التطور والتنمية والرقى، والعصرنة، مع الحفاظ على قيم الماضي انطلاقاً من ثنائية الرجل والمرأة والأرجح أن جذور الاضطهاد لا تنشأ من اعتبارات عربية إسلامية في حد ذاتها بل من كون المرأة حارساً على هذه الاعتبارات (2).

ثم هل استطاعت المرأة أن تعبر عن وضعها بلغة النساء أو بلغة الرجال؟ فالسياق يلعب دوراً مهماً في توظيف اللغة للتعبير عن المجال الفكري للمتخاطبين. ثم أكانت هذه المرأة المبدعة أنثى في أعمالها، أم أنها رصدت الأوضاع المختلفة للمرأة كما هي في المجتمع الجزائري.